



عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. قال: "لَوْ أَنْكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوْكِلَةٍ لَرَزْقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خَمَاصًا وَتَرْوَحُ بَطَانًا". رواه الترمذى وقال حسن صحيح.

في هذا الحديث بيان لأصل التوكل الذي هو من أعظم الأسباب التي يُجلبُ بها الرزق. يقول الله تعالى: "... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...".

قال -صلى الله عليه وسلم- في هذه الآية أن لو أخذ الناس بها لكتفهم. التوكل جامع الإيمان وحقيقة، وهو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة جميعاً.

فلا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه سبحانه وتعالى، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. يقول: "اللهم اجعلني ممن توكل عليك فكفيته".

يدعو التوكل إلى الإيجابية عكس ما يدعيه البعض من سلبية "التوابل". فلو نظرنا في الحديث الذي رواه الفاروق -رضي الله عنه-. لوجدنا دلالات واضحة في الأخذ بالأسباب بكلماتي "تغدو" و"تروح". فهذا الجزء اليسير من السعي باركه الله تعالى وجلب به للطير معاشها، وهو سبحانه يعلم أن قدرة الطير كامنة في الغدو والروح فلا يكلفها فوق طاقتها.

وهكذا حال العبد المسلم، يسعى حسب مقدراته -والله يعلم قدراته- يسعى بالحلال ويُجمل في طلب الرزق موقناً أن ما أصابه لم يكن لبخله وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وأجلها، وأن رُفعت الأقلام وجفت الصحف.

فيرفع يديه داعياً ربه بعد أن سعى سعيه قائلاً: "هذا الجهد وعليك التكلان"، ويرضى بما قسم الله له مع استمراره في الطلب والسعى دون كلٍ أو ملل.

أما هؤلاء الذين يرون أن التوكل يكمن في القعود عن العمل دون الأخذ بالأسباب فهم يحرفون كتاب الله ويشذون عن سنة

نبیه - صلی الله علیه وسلم - الذی قال: "اعقلها و توکل".

فَاللَّهُ تَعَالَى أَمْرَنَا بِالسعي "فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا"، وَأَمْرَنَا بِالعِدَةِ فِي لِقَاءِ الْعُدُو "وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ...، وَلَمْ يَرْفَعْ رَسُولُ اللَّهِ - صلی الله علیه وسلم - يَدِيهِ الطَّاهِرَتِينَ دَاعِيَا فِي بَدْرٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَعْدَّ عَدَّتَهُ وَبَذَلَ جَهَدَهُ فَرَفَعَ يَدِيهِ دَاعِيَا اللَّهَ النَّصْرَ مُتَوَكِلاً عَلَيْهِ وَرَاضِيَا بِحُكْمِهِ وَقَضَائِهِ.

فَهؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ التَّوْكِلَ وَهُمْ مُتَوَكِّلُونَ، هُؤُلَاءِ هُمْ عَالَةُ عَلَى الْمَجَمُوعِ وَآفَةُ يَنْبَغِي الْخَلَاصُ مِنْ سَمْوَمِهَا، يَحْرُفُونَ الْكَلْمَ عَنْ مَوْاضِعِهِ وَيَسْعُونَ لِتَحْجِيمِ دِينِ اللَّهِ مُدَعِّينَ الْمَسْكَنَةَ وَالْانْكَسَارَ، نَاسِينَ أَوْ مُتَنَاسِينَ أَنَّ الْمُسْلِمَ عَزِيزٌ وَانْكَسَارُهُ لِرَبِّهِ لَيْسَ مَظْهَرًا يَلْبِسُهُ وَلَا عَلَمَةً يَمْيِيزُهُ النَّاسُ بِهَا، بَلْ أَنَّ انْكَسَارَهُ لِرَبِّهِ وَذَلِكَ بَيْنَ يَدِيهِ لَا يَتَجَلَّيَا نَيْمَانٌ إِلَّا سَرَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَارِئِهِ بَعْدَ أَنْ كَدَّ نَهَارًا وَسَعَى سَعْيَهِ الْمُفْرُوضُ عَلَيْهِ.

المصادر: